((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) [٢٢]

التأويل والاجتهاد

(٢٢) سورة النحل ـ آية :١٢٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

إن التدليل على أن الشريعة (القرآن والحديث) توجب النظر الفلسفي، كما توجب استعمال البرهان المنطقي لمعرفة الله تعالى، وموجودا ته، وساق لهذا وذاك دليلاً من القرآن وهو قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار)[٢٣] مبيناً أن الاعتبار هنا ليس، إلا استنباط المجهول من المعلوم، وهو القياس الفلسفي، أو المنطقي المعروف.

و فيما يتعرض له في مسألة الدين، والفلسفة من حيث التوفيق بينهما، ومسألة الوحي، وتحديد سلطانه،وميدانه بالنسبة للعقل لا بد إذن أن نبيّن صراحة رأيه في الوحي وتحديد الصلة بينه، وبين العقل، وفي المعجزات والنبوة وفيما يكون، أو لا يكون من الحاجة للشريعة بجانب العقل.

ومما أشاد بالعقل ونظره وقدرته على المعرفة يصرح بأن هناك أموراً يعجز العقل عن معرفتها، وإذن فلنرجع إلى الوحي الذي جاء متمماً لعلم العقل، فلو كان العقل كافياً لما أرسل الوحي، فعلى العقل أن يفهم ما جاء به الشرع ومن بطئه عن الوحي في المعرفة، ومن عجزه أحياناً الوصول لما جاء به، والنتيجة الحتمية لذلك هي ضرورة اللجوء أحياناً للوحي الذي هو أعلى من العقل، ونظرهِ وتفكيرهِ، ومهما يكن من شيء، فالأمور التي لا يكتفي العقل بنفسه في معرفتها تتلخص في معرفة الله، والسعادة، والشقاء الإنساني في هذه الدنيا، وفي الحياة الأخرى، ووسائل هذه السعادة، ، وأسباب هذا الشقاء، وفي بعض المسائل الأخروية التي يجيب عليها الإمام الغزالي حول النفس والروح

(٢٣) سورة الحشر ـ آية:٢.

التي ستأتي لاحقاً، وكما يرى بعض الفلاسفة اليونانيين أن الإنسان لا تقوم حياته، وسعادته في هذا العالم، وفي العالم الآخر، إلا بالفضائل النظرية التي لا يتوصل إليها إلا بالفضائل الخلقية، وهذه الفضائل لا تتمكن في النفس إلا بمعرفة الله، وتعظيمه بالعبادات المشروعة حسب الملل المختلفة مثل القرابين، والأدعية، والصلوات ونحو ذلك، وذلك مما لا يُعرف إلا من الشرع الموحى به، أو بعبارات أخرى إن هذه الأمور لا تتبين كلها، أو معظمها، إلا بوحي، أو يكون تبنيها بالوحي أفضل، ولا عجب في هذا فإن الفلسفة تنحو نحو تعريف بعض الناس بسعادتهم، ومن عندهم استعداد لتعلمها، وأما الشرائع فتقصد تعليم الناس عامة، ولذلك كان العلم الذي يأتي به الوحي رحمة لجميع الناس، وهذا يتوسط بالتسمية عند الفلاسفة العقل الفعال، و يذكر ابن سينا في هذه المسألة أن المعجزة أمر ممكن في نفسه يتفق، والعقل، وقوانين الطبيعة، وإن ما ذكرناه عن ابن سينا حول الأسباب التي تنشأ عنها ممكن، وجائز، وأن ليس كل ما يكون ممكناً في طبعه يقدر أن يفعلة الإنسان بدليل الحس، والمشاهدة، والواقع، فيكون إتيان النبي بأمر خارق أي معجزة ممكناً في نفسه، وإن كان ممتعاً على الإنسان، وليس يحتاج في ذلك أن نقرر أن الأمور الممتنعة في العقل ممكنة في حق الأنبياء.